

الصراع بين الإسلام والعلمانية في نيجيريا

سليمان موسى

من المعروف أن نيجيريا لم تكن معروفة بهذا الإسم وبهذا الشكل الموجود اليوم ، إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حينما اقتحم المستعمرون الانكليز تلك المنطقة التي كان العرب يطلقون عليها اسم بلاد السودان ، أو بلاد تكرر (١) ومعلوم أن المستعمرين هم الذين أطلقوا عليها اسم نيجيريا ، وإضافة إلى ذلك فالمستعمرون الانكليز مسيحيون عقيدة والوطن الذي استولوا عليه معظم سكانه مسلمون ، ومن هنا بدأ الصراع بين الإسلام والصلبية في نيجيريا كما سنرى .

الأمم التي كونت نيجيريا :

ومن المفيد هنا إعطاء نبذة تاريخية عن الأمم المسلمة وغير المسلمة التي كانت وما تزال تسكن هذه المنطقة وتكون شعب نيجيريا .

قبل القرن التاسع عشر كانت توجد (أي قبل الاستعمار الانكليزي) عدة ولايات وممالك موزعة تختلف في حجمها وقوتها ، وقد تختلف أيضا في عاداتها وتقاليدها ، وكانت كل واحدة منها مستقلة ومنفصلة عن الأخرى تمام الانفصال إلا أن بعضها وهي ولايات الهوسا كانت تربطها صلة قوية هي صلة لغة الهوسا التي تتكلم بها ، وهناك رابطة أخرى تربط كل هذه الولايات والممالك وهي الرابطة التجارية (٢) ونستطيع أن نقسم تلك الولايات والممالك إلى أربعة أقسام مع ذكر تاريخ دخول الإسلام في كل واحدة منها :

أ- بلاد هوسا : وهي بلاد ذات أنهار وأشجار ورمال وجبال وأودية تقيم بها أجناس مختلفة وقبائل شتى (٣) ، ولكن اللغة التي تربطهم جميعا هي لغة الهوسا والرابطة الثانية هي الأخوة الإسلامية فأكثرهم مسلمون ، فقد قيل : إن الإسلام دخل هذه البلاد في عهد مبكر جدا ، ولكن ذكر بعض المؤرخين ان الإسلام بدأ ينتشر فيها في القرن الرابع عشر الميلادي ، وقيل قبل ذلك . وعلى أية حال ، فمن المؤكد أن الإسلام انتشر قبل مجيء المستعمرين بعدة قرون (٤) . وفي القرن التاسع عشر حدثت فيها حركة إصلاحية تحت قيادة الشيخ المجدد عثمان بن فودي (١٧٥٤-١٨١٧م) فأسس الخلافة الإسلامية المعروفة لدى المؤرخين والمستشرقين بخلافة سكو تون (٥) وقد ازدهرت تلك الخلافة وعاشت قرنا كاملا (١٨٠٤-١٩٠٣م) ثم اقتحمها المستعمرون الانكليز ونهبوا سلطتها وعزلوا بعض أمراء المسلمين ، وقتلوا بعضهم قتلا بشعا ، وبعد ذلك جمعوا الامارات التي كانت تحت هذه الخلافة وضموها إلى ممالك أخرى واسمها كلها نيجيريا .

وحتى الآن : فإن شعوب تلك الامارات التي كونت تلك الممالك المسلمة أكثر عددا من سائر ولايات نيجيريا .

ب - بلاد يوربا : تقع بلاد يوربا في جنوب نيجيريا اليوم كما تقع جنوب نهر النيجر ، تمتد من حدود هذا النهر شمالا وشرقا إلى المحيط الاطلسي جنوبا ، وحدود جمهورية بنين الحالية (٦) غربا . قيل إن الإسلام دخل بعض بلدانها بالطرق السلمية في القرن الثالث الهجري ولكنه لم ينتشر إلا في النصف الأخير للقرن السابع عشر الميلادي ، وازداد انتشاره في مدينة لاغوس التي هي العاصمة الأولى لنيجيريا لما اعتنق ملكها المسمى كوسكوا الإسلام في عام ١٨٥١م على يد الداعية المعروف بسليمان (٧) .

وقد قيل : إن بعض بلاد يوربا قد طبقت الشريعة الإسلامية، وعينوا القضاة بعد أن أسسوا المحاكم الشرعية ، ولكن جاء الانكليز فأبطلوا ذلك النظام قهرا وأسسوا لهم محاكم وضعية أخرى على شكل ما يوجد في بريطانيا (٨) ، واليوم تبذل هذه البلدان في سائر ولايات نيجيريا جهودا جبارة لاسترداد المحاكم الشرعية الإسلامية في كل أرجائها تماما كما كانت موجودة قبل الاستعمار.

ج - مملكتا برنو وكانم : قامت هاتان المملكتان على التعاقب حول بحيرة تشاد ، وتنقلت عاصمتها بين كانم وكلوكاوا فمرة في كانم ومرة في برنو .

البرناويون والكانميون قوم من البرابرة جيران النوبة في حدود مصر العليا . قامت دولتهم الإسلامية منذ القرن الخامس الهجري ، وقد وصفها ابن خلدون في تاريخه بأن لهم تغلبا على بلاد الصحراء إلى فزان ، وقيل إن الإسلام دخل مملكة كانم في القرن الحادي عشر، وأول من اعتنقه من ملوكها هو همى جلبي (١٠٨٥ - ١٠٩٧ م) ، وإن كثيرا من ملوكها زاروا الحرمين لأداء فريضة الحج ، وعدد كبير من علمائها جابوا البلاد شرقا وغربا طلبا للعلم فمنهم من ارتحل الى الحرمين ومصر لتعلم الإسلام .

وقد انتشر الإسلام انتشارا كبيرا في هذه المملكة قبل استيلاء الاستعمار البريطاني عليها .

د- مملكة ايبو : تقع بلاد ايبو على حدود بنوي من الجهة الغربية وحدود مصب نهر النيجر من الجهة الشرقية ، وليس لها صلة قوية ببقية الممالك الأخرى إلا بعد انضمامها إليها في القرن العشرين .(٩)

ومما لا يختلف فيه اثنان هو أن هذه المملكة لم تشم رائحة الإسلام ولا دين المسيحية قبل القرن الثامن عشر فلقد كان شعبها

يدين بدين الجاهلية الذي ورثه عن أجداده .

والجدير بالذكر أيضا ان الدين المسيحي سبق الدين الإسلامي في التوغل في هذه المملكة بسنين ، وقد بدأ فيها ينتشر بطريقة سلمية في مطلع القرن التاسع عشر ، وذلك بسبب اتصال أهلها بتجار الممالك المذكورة سابقا ، وقد اشتهر في تلك الأيام رجل من أبنائها أسلم على يد الشيخ إبراهيم انياس السنغالي حوالي سنة ١٩٥٠م (١٠) واليوم يزداد عدد الذين يعتنقون الإسلام بطريقة لا بأس بها ، وتنتشر فيها المدارس الإسلامية والمعاهد الدينية وأنشطة الدعوة والإرشاد.

ومن أنعم النظر في شكل نيجيريا اليوم والممالك والولايات التي فيها قبل اتحادها وتسميتها كلها بهذا الاسم (نيجيريا) لا ينكر إذا قال له قائل إن نيجيريا دار الإسلام ، لأن معظم سكانها وقبائلها مسلمون . وإن ثلاثة أرباع الممالك التي كونتها قد تأسست منها المملكة الإسلامية على ضوء الكتاب والسنة ، وأن تلك الممالك قد اشتهرت حتى بلغ مجدها وشهرتها سائر الدول الإسلامية في العالم الإسلامي (١١).

ولكن ماذا حدث لتلك الممالك الإسلامية الأصلية بعد استيلاء المستعمرين البريطانيين عليها؟؟؟.

الجواب هو السبب الرئيسي الذي من أجله حدث الصراع بين الدعوة إلى الإسلام والدعاة إلى العلمانية في نيجيريا في الماضي والحاضر .

الإسلام في نيجيريا اليوم :

هذا موضوع واسع النطاق حتي أننا قد لا نستطيع أن نتعمق في نقاشه لضيق المجال ، ولكن مع ذلك نقول بإيجاز : إن الإسلام في نيجيريا اليوم لم يجد مستوى الاحترام الذي يليق به عند أهل الحل

والعقد ، وذلك على الرغم من أن عدد المسلمين يزداد كل يوم وأنهم أكثر عددا من الذين يدينون بغير الإسلام . ولكن لم تكن للمسلمين سلطة حتى يطبقوا النظام الإسلامي في كل مجالات الحياة كما كان الحال في القرون الماضية .

يعاني المسلمون مشاكل عديدة في كافة مجالات الحياة ، ففي مجال تحكيم الشريعة الإسلامية مثلا : هناك من يرى تعذر تطبيق الحدود الشرعية ويصفها بالرجعية ، والبشاعة والوحشية . وفي المجال الاجتماعي يكثر الكلام عن المرأة وحريتها في المجتمع ، وتحديد النسل وكثرة اندية الخمر كثرة فاحشة مع انتشار المخدرات ودور الملاهي .

ومن الناحية الاقتصادية : نرى مسائل الربا والتأمينات وكثرة الضرائب والخراج التي تؤخذ قسرا من الفقراء والمساكين وإدارات البنوك تسير على وفق النظم الشرقية والغربية، وصرف أموال الناس فيما لا ينفعهم كتشييد مصانع الخمر وفنادق البغاء وأماكن الفسق والدعارة ، ومن أفضح الأمور أن نرى جمعا غفيرا من الناس لا يرون بأسا في هذه الأشياء ويعملون على إكثارها وانتشارها ويرون ذلك تقدما وحضارة.

الدعوة والهدف :

من المؤسف جدا أن أغلب دعاة الإسلام في نيجيريا في الماضي والحاضر لم يكونوا من أهل الحل والعقد ، لا في حكومات الولايات ولا في الحكومة الفدرالية لأن المستعمرين لما دخلوا هذه البلاد سلبوا من العلماء الدعاة كل ما لهم من سلطة ، وفي وقت الاستقلال سلموا تلك السلطة إلى الذين تدرّبوا على أيديهم وثقفوا بثقافتهم الغربية ، لأجل ذلك حتى اليوم لا نرى للعلماء شأننا كبيرا في إدارة شؤون البلاد.

وعلى الرغم من إبعاد العلماء والدعاة عن المناصب الحكومية

فانهم أي الدعوة ما زالوا لا يألون جهدا في القيام بواجباتهم من ناحية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتماس إقامة أحكام الشرع الإسلامي الحنيف ، وتطبيق النظم الإسلامية في الشؤون الوطنية كما كان الحال قبل الاستعمار .

ولم تثمر جهود العلماء الدعوة كثيرا لأنهم لم يعتصموا بحبل الله جميعا ، ولم يكونوا يدا واحدة كما كانوا في الماضي ، فكل يعمل على شاكلته وقد يعارضه زميله من الدعوة فيما يدعو الناس إليه فيسفه رأيه ويثبط همته ، وقد يصل الأمر منه إلى تكفيره .

ولكننا اليوم ننظر بعين الرضي والقبول إلي العلماء والدعاة وقد أظلتهم رؤية الوحدة وانتظمتهم مجلس كريم هو (مجلس العلماء) الذي هو خير منبر للتعبير عن حرية الرأي وعرض المشاكل الإسلامية في نيجيريا للنقاش والبناء الذي تكون أهم نتائجه إلزام المسلمين على السير في الطريق الإسلامي الصحيح . وتعريفهم بكل المشاكل التي تعترض طريقهم كما ترشدهم إلى الحلول السليمة لهذه المشاكل ، فلا عجب أن نراهم اليوم يتكلمون بصوت قوي واحد تحت لواء هذه الرابطة .

وأكبر أهداف هؤلاء العلماء الدعوة الآن هو :

إحياء التراث العربي الاسلامي النيجيري ، وتطبيق التشريع الإسلامي الحكيم بأكمله واعتباره دستورا لنيجيريا ، وقد أصدروا القرارات الكثيرة التي تحقق رغباتهم لا إلى الحكومة الفدرالية وحسب بل إلى جماهير الشعب في الوطن النيجيري فمن مضمون تلك القرارات ما يلي :

١- المسلمون لا يرضون بأي نظم سياسية في عام ١٩٩٢م إلا السياسية الإسلامية .

٢- تطبيق التشريع الإسلامي في كل ولايات نيجيريا وإنشاء

المحاكم الشرعية فيها.

٣- الاعتراف بالتاريخ الهجري والعمل به كما اعترفت

بالتاريخ المسيحي وتستعمله .

٤- إن مجلس العلماء نيابة عن جماهير مسلمي نيجيريا يريد

أن يكون عضوا كاملا في منظمة الدول الإسلامية ، ومن المؤسف جدا تغيب نيجيريا عن حضور اجتماع المنظمة هذا العام .

٥- الاعتراف بالأعياد الإسلامية كلها والإعلان بأن هذه

الأيام أعياد رسمية وتعطل من أجلها مصالح الدولة ودوائرها .

٦- إعلان يوم الجمعة عطلة أسبوعية وخاليا من جميع

الأعمال الرسمية .

وفيما سبق القليل من القرارات العديدة التي أصدرها مجلس

العلماء ويطالب الحكومة بتحقيقها ، وهنا تبرز أهمية اتحاد العلماء تحت

لواء مجلسهم (١٢) .

أهداف العلمانيين :

كما أوضحنا في الأسطر السابقة من هذا المقال أن

المستعمرين هم الذين أفسدوا أنظمة الإسلام وأوهنوا معاهدها

ومدارسها ومراكزها حتى أن جمعا غفيرا من المسلمين ممن تعمقوا في

الثقافة الغربية والأفكار العلمانية لا يرون بأسا - إطلاقا- في

المؤسسات الغربية التي غرست في وطنهم ، بل هم يفضلون هذه

المؤسسات الغربية على المؤسسات الإسلامية ، ويدافعون عنها .

ومنهم من يرى أنه لا مانع من دمج النظام الغربي بالنظام

الإسلامي في كل مجالات الحياة في إدارة الوطن . وهم يؤكدون

هذه النظرية بقولهم : إن نيجيريا وطن فيه أديان مختلفة وقبائل شتى

وكل واحد منها لها عاداتها وتقاليدها العريقة ، ولا بأس إذا أخذ

الوطن من كل نظام وتقليد وغيرها بطرف في تنظيم وإدارة أمور

الدين والدنيا معا .

فهاتان الفرقتان تعرقلان طريق دعاة الإسلام ، وتعملان على تحطيم مبادئ الدين الحنيف .

وأما الفرقة الثالثة فأهلها يدعون إلى الطاغوت أو إلى المسيحية أو غيرها من السبل ويعادون دعاة الإسلام عداوة شنيعة فهم الذين اتخذوا غير الإسلام دينا . وعلى الرغم من أنهم يختلفون فيما بينهم في العقائد والتقاليد إلا أنهم متحدون في عداوتهم للإسلام والمسلمين ويسعون ليلا ونهارا لتحقيق ثمار تلك العداوة ، وهم يحصلون على مساعدات مالية ومادية من الداخل والخارج مما يحققون به آمالهم ، وقد طبعوا الأناجيل وكتبوا مقالات كثيرة في محاربة الإسلام كما يقومون بتوزيعها مجانا على المسلمين وغير المسلمين ظنا منهم أنهم سيصلون بذلك إلى تحقيق مآربهم الخبيثة .

ولا يجانبنا الصواب إذا قلنا : إن دعاة العلمانية يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم وأموالهم وأنفسهم وبكل الوسائل الممكنة ، وهم راضون غاية الرضى بكل ما يجرى الآن في وطننا من أحوال تبعد الناس عن الإسلام فضلا عن تنفيذ أحكامه ولا يرضون بغير النظم الغربية المسيحية بديلا .

كما يعملون على تطبيق هذه النظم الفاسدة في كل نواحي الحياة الاقتصادية كانت أم سياسية أم اجتماعية ، وأقروا مرارا بأنهم غير مستعدين لقبول أي تغيير من شأنه أن تصبح الشريعة الإسلامية دستورا لهذا الوطن ، وقد أساؤا فهمهم للإسلام عندما اعتقدوا أنه دين عبادة فقط وليس دينا ودولة وأنه لا يستطيع تنظيم شؤون حياتنا الاقتصادية والسياسية والشرعية وما إلى ذلك من نواحي الحياة المختلفة .

لأجل ذلك نستطيع أن نلخص أهداف دعاة العلمانية وأنصارها في الأسطر التالية :

١- يريدون تحقيق الفصل بين الدين والدولة ، كما هو الحال الآن ويسعون دائما لتحقيق ذلك .

٢- يفضلون تطبيق النظم الوضعية الغربية في كل مجال من مجالات الحياة في الوطن علي تطبيق مبادئ الإسلام .

٣- قاموا على قدم وساق في محاولات لمحو ما بقي من الآثار الإسلامية في نيجيريا وصد المسلمين عن إقامة شعائر دينهم .

٤- عزموا على معارضة المسلمين في كل شيء له علاقة بالإسلام .

تلك كلها إشارات لما يجري من منافسة بين أولياء الله المؤمنين الذين يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبين الذين يعدون إلى غير الله بالمادية والزخارف الدنيوية الزائفة فالمعركة بين الفريقين قد بدأت منذ عهد والمنافسة بينهما قائمة على أشدها وستستمر حتى يأتي نصر الله .

فدعاة الإسلام قد جهروا بدعوتهم وألحوا بأنهم سيرفضون كل نظام سياسي غير إسلامي رفضا تاما .

والمسلمون ينتظرون عام ١٩٩٢ بفارغ الصبر وهو العام الذي أقرت الحكومة العسكرية بتسليم السلطة إلى أبناء الشعب من السياسيين ونرجو أن يكون عام النصر للإسلام والمسلمين وإن رغمت أنوف دعاة العلمانية وأنصارها ممن لا يرضون أن تحكم البلاد بشريعة الإسلام .

وأما في سائر مجالات الحياة فإن هذا الصراع ما زال في طفولته وكاد أن يشب فمثلا : المؤسسات الاقتصادية تعمل بالقوانين الغربية المسيحية في معاملاتها اليومية ، والمسلمون يريدون من الحكومة استبدال هذه القوانين بقانون الإسلام أو أن تنشأ مؤسسات إسلامية خالصة تسيير وفقا للتشريع الإسلامي .

في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٦م عقد مجلس

العلماء ندوة علمية حول البنك الإسلامي وطريقة إنشائه في نيجيريا ،
كما عقدت بعد ذلك ندوة أخرى للبحث حول نفس الموضوع في
جامعة ميدغري بولاية برنو - نيجيريا (١٣).

رغم أن معظم سكان نيجيريا مسلمون في الماضي والحاضر
فإن الحكومة لا تهتم بتحقيق رغباتهم بإنشاء معاهد دينية وتدریس
الشريعة الإسلامية في دور التعليم المختلفة ، إن في نيجيريا أكثر من
عشرين جامعة ولا تدرس الشريعة الإسلامية إلا في أربع منها فقط
وتدرسها لتخريج المحامين ، غير أنها ليست بمادة مهمة في منهجهم

الهوامش

- ١- د. شيخوا أحمد سعيد غلادنت، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، مطبعة
دار المعارف ، سنة ١٩٨٢م ، ص ٣٨.
- ٢- نفس المصدر والصفحة .
- ٣- محمد بلو : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، طبعة الحاج محمد طن أجي
ظامير يروصكتو ، ص ٤٠ .
- ٤- حركة اللغة العربية ، ص ٢٩-٣٠ .
- ٥- ومن الكتاب من يسميها الخلافة الصكتية ، أو الدولة العثمانية نسبة إلى مؤسسها
الشيخ عثمان بن فودي ، انظر : مري لاست ، الخلافة الصكتية ، مطبعة لندن ،
سنة ١٩٦٧م .
- ٦- آدم عبد الله الالوري : الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني ،
الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٨م ، ص ٣٢ .
- ٧- د . على أبوبكر ، الثقافة العربية في نيجيريا ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م ، ص ٢٢ .
- ٨- د . داود شيث نائبي ، مجلة منظمة معلمي العربية والإسلامية ، الجزء الأول .
- ٩ و ١٠- الإسلام في نيجيريا ص ٢٩ .
- ١١- حركة اللغة العربية في نيجيريا ص ٢٩-٣٠ .
- ١٢- إنفاق الميسور ص ٣٦-٣٩ .
- ١٣- الإسلام في نيجيريا ص ١٣٩ .

